المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

دور الاقناع الفكري في صناعة التناقض من وجهة نظر المقاربات الدينية رؤية وصفية

د/ اسعيداني سلامي
جامعة محمد يوضياف المسيلة

د/ ليلى فقيري
جامعة البشير الابراهيمي برج بوعريريج

ملخص:

تعالج هذه الورقة العلمية أن شاء الله حقيقة الفكرة الإصلاحية للتيارات الدينية (القديمة والجديدة) من خلال فكرة الصراع بينها أو بالأحرى اصطناع الصراع بينها، رغم اشتراكها في موقف تجاه **الإستراتيجية الإصلاحية**، باعتبارها عملا فاضلا وصالحا وضروريا. لكن حالما تأخذ الفكرة الإصلاحية حسب اختلاف هذه التيارات الدينية مسارات في دهاليز الحياة وإشكالاتها الواقعية، أي حالما تكشف عن حقائقها البينية فأنها تبدو "**غريبة الأطوار**" ومخالفة "**للعقل**" والعقائد "المقدسة" وما شابه ذلك من أوصاف مغروسة في الوعي التقليدي للمسلمين. وفي هذا تكمن مفارقة الإقرار بضرورة الإصلاح من جهة، ومعارضته الدائمة في تاريخ الأمم والعقائد والأديان، من جهة أخرى.

فالفكرة الأساسية في البحث هي صيرورة الإقناع الفكري القومي الجديد في الوطن العربي الإسلامي من حيث الجوهر هي دعوة وتأسيس لضرورة تقويم وتعديل "الاعوجاج" في حياة الأمم والعقائد (الدينية والدنيوية). بمعنى أنها تتطابق مع مضمون "الاستقامة" و"الطريق القويم" بوصفها الصيغة الرمزية والبيانية لإصلاح "الانحراف" و"الزيغ والضلال" عن "المثل السامية" و"الأصول". وبالتالي، فإن ظهور فكرة الاستقامة والطريق المستقيم تعادل معنى الثبات في طريق الحق والحقيقة. ومن ثم لا يعني الطريق المستقيم سوى طريق الحق وتاريخه. الأمر الذي جعل من " هذه التيارات الدينية ؟؟" على الدوام اشد أنواع الاستقامة اعوجاجا، لأنه يحتوي على كافة الممكنات وكافة الاحتمالات. وذلك لأن استقامة الحق والحقيقة متعرجة، وذلك بسبب تعرجهما بمسار التاريخ الإسلامي الإنساني.

- **الكلمات المفتاحية: الدين، الإقناع، الفكر، الإسلام، الرؤى**

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

Abstract:

This paper deals with the reality of the reformist idea of the new religious trends through the idea of conflict between them, or rather the synthesis of conflict between them, despite their participation in the attitude towards the reform strategy, as a virtuous, correct and necessary action. But as soon as the reformist idea, according to the different religious currents, takes paths in the corridors of life and its real problems, once they reveal their inner realities, they seem "eccentric", "mind" and "sacred" and similar in the traditional consciousness of Muslims. In this is the paradox of recognizing the need for reform on the one hand, and its permanent opposition to the history of nations, creeds and religions, on the other.

The basic idea in the research is the process of persuading the new national intellectual in the Arab Islamic world in essence is the call and establishment of the need to rectify and modify the "warp" in the lives of nations and beliefs (religious and secular). In the sense that it corresponds to the content of "integrity" and "the right path" as the symbolic and structural formula for the correction of "deviation" and "deviation and error" from "lofty ideals" and "origins". Thus, the emergence of the idea of straightness and straight path equals the meaning of steadfastness in the path of truth and truth. Hence, the straight path only means the path of truth and its history. What made these "religious currents"? Always the most honest types of warp, because it contains all the possibilities and all possibilities. This is because the integrity of truth and the truth is tortuous, because of their lapse in the course of Islamic human history.

- **keywords** : Religion, persuasion, thought, Islam, visions

- مقدمة:

منذ بزوغ فجر الرسالة، والإسلام يعيش في دورات من الصراع، والتداول الحضاري.. يواجه التحديات الثقافية والاجتماعية، ويتفاعل مع التجارب الإنسانية من حوله. يدفع الكفر، ويدعو لتحرير العباد، وتنمية المجتمعات، ويجادل بالحسنى، متميزاً بعقيدته، وشموخ بنيانه الحضاري المتفرد.

ولعل من عناصر الإيجاب في ثقافتنا، ذاك الاهتمام بالرصيد الهائل من المسلمين- علماً نظرياً، وعملاً تطبيقياً- في مجالات العلوم، والمعرفة، والثقافة، وما صاحب ذلك اجتهاد فقهي متجدد، يحيط بالواقع، ويسعى لمواجهة المشكلات المستجدة. وفي مقابل هذا الكسب الإيجابي، فإن واقعنا الديني الثقافي اليوم، يعاني من مشكلات التبعية والتقليد، والفهم القاصر للذات، وجهود سلفنا العظام، فهماً لا يبلغ الشمول والتكامل، ولا يراعي الوحدة الموضوعية في شرح النصوص، ويهمل متغيرات الحاضر والعصر.. كما أن بعض المؤسسات الفكرية والثقافية، وبعض أفرادنا وجماعتنا، انحرفت وراء الغرب، تنادي بتجزيء الإسلام وتبعيضه، بين إسلام أصولي، وإسلام سياسي، وإسلام صوفي، وتفصل بين الدين والسياسة،

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وتخذل روح الجهاد، والاجتهاد، متناسية أن الدين كلمة شاملة، جامعة للمعاني العملية، التي تقيم الحياة الدنيا والآخرة .

في زمننا هذا زمن التطور التقني والانفجار المعرفي نجد أن الأمور تسير في طريق إبعاد الفرد المسلم والمجتمع المحافظ عن قيمة ودينه أكثر فأكثر من خلال استغلال التيارات الدينية أيّم استغلال، ابتداءً من إشغال شباب اليوم بالانبهار بالتطور التقني والتجاوب معه دون وجود رصيد قيمي وسلوكي يضبط الحياة، مروراً بالميل المتنامي لدى كثير من الأفراد نحو اللامبالاة بما يقترفه بعض الأفراد والجماعات في المجتمع من سلوكيات تتنافى والقيم الدينية لهذا المجتمع، إضافة إلى ظهور بعض التيارات والدعوات التي تنادي صراحة أو ضمنياً بالخروج على هذه القيم، مع تسلل القدوة السيئة التي لا تتفق مع قيمنا إلى معظم البيوت من خلال أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة بحيث أصبحت هذه القدوة شيئاً عاديا ومألوفا. هذا مع انشغال شباب الأمة في هذه السنوات أكثر فأكثر بهموم لقمة العيش التي أصبح تحصيلها يستنزف معظم وقت وجهد رب الأسرة

إن استعراض هذه الأمور لا يعني القنوط واليأس من الإصلاح ، أو أنها دعوة إلى تثبيط العزائم والهمم ، والخنوع إلى هذا التيار الجارف من " اللاقيمية " التي تسود العالم عامةً ، ومن ضمنه المجتمعين العربي والإسلامي، بل إن ذلك يؤكد أنَّ على المخلصين في هذا المجتمع أن يأخذوا الأمر بعين الجد وإذا كان المسلمون قد عانوا من الغفلة لقرون مضت، ثم انتبهوا، فإن الصحوة الراهنة، قد جلبت عليهم عداءً متصاعداً، وأدخلتهم في دائرة صراع جديد، شكلاً ومضموناً وقد يكون المطلوب هنا، أن نسعى لنقل هذا الصراع المتصاعد، إلى دائرة الحوار، وأن نبادر إلى فهم الغرب، وأساليبه، وأن نعد العدة، وتقف التربية والتعليم في مقدمة العدة التي يمكن أن تستخدم في تنمية وتطوير القيم لدى الفرد المسلم، وتحصين المجتمع من تيارات اللاقيمية الوافدة إليه من المجتمعات غير الإسلامية.

وتدور هذه المداخلة حول الإشكالية التالية: **هل ساهمت التيارات الدينية الحالية في زيادة التطور الفكري الحضاري للمجتمع العربي المسلم أم زادت في الاختلاف وتباينت في الرؤى؟**

1. الحركات الدينية في الوطن العربي: النشأة والاختلاف

1.1. التيار الديني والمشروع القومي

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أدى انهيار المشروع القومي والوطني في البلدان العربية إلى فجوة مرجعية وسياسية ووجدانية لم تستطع أي من القوى السياسية المأزومة حلها. مما ترك الباب مفتوحا على اتساعه لظهور الحركات الدينية. ومع فشل المشروعات القائمة على التفكير العقلاني، وعدم اكتمال دخول المجتمعات العربية في طور الحداثة، كانت الأرض ممهدة لنمو شعبية المشروع الإسلامي المعتمد أساس على رفض الحداثة.[1]

وشكل غياب برنامج محدد للتغير ميزة نسبية للتيارات الدينية، حيث جنبها أولا الاختلاف بين عناصرها (حيث لا توجد قضايا أو مسائل خلافية)، كما جنبها الاصطدام المبكر مع الدولة. وحدا هذا ببعض الأنظمة إلى تشجيع التيارات الدينية السلامية بغية ضرب القوى اليسارية. وكان ثاني العوامل الدافعة إلى نمو الحركات الدينية انسحاب الدولة عن أداء وظائفها الخدمية مثل التعليم والصحة والتوظيف. مما شكل سانحة للمنظمات الدينية التي انبرت في تقديم هذه الخدمات لدعم نفوذها وتأثيرها بين فئات واسعة من الجماهير.[2]

ومع تنامي نفوذ التيارات الإسلامية السلامية، استخدم الخطاب الرسمي المفردات الإسلامية للمزايدة عليها والتأكيد على عدم انفرادها بالشرعية الدينية دون الدولة. وأصبح للإسلاميين اليد العليا الأيديولوجية وأصبحوا عنصرا من عناصر القوة. ومهد ذلك لظهور التيارات الجهادية التي لا تربطها هدنة مع السلطة.[3]

وإزاء ذلك تنامي رد الفعل العكسي لدى غير المسلمين الذين سعوا إلى تأكيد هويتهم الدينية والاحتماء بها، حيث تغير وجه الوطن الذي لا يميز في تقديم الحماية على أساس الانتماء الديني. وهو ما دفع البعض إلى بناء حركة دينية مسيحية للدفاع عن خصوصيتهم العقدية وحقوقهم الدينية. وهو ما منح الكنيسة دورا سياسيا باعتبارها معبرة عن المسيحيين ومصالحهم وحقوقهم.[4]

2.1. التيار الديني من الإتباع والغلو إلى العنف والتطرف

أ-تعريف التطرف الديني:

---

[1] سمير أمين، **في أطراف النظام العالمي: نهاية التحرر الوطني؟** إيمانويل فالرشتاين وآخرون، ترجمة عصام خافجي وأديب نعمة، دار الفارابي، بيروت، 1991، ص221.

[2] عماد صيام ، **الحركات الاجتماعية في مصر بين المرجعية الدينية والتجاوز الديمقراطي**، بحث غير منشور ضمن بحث الحركات الاجتماعية في العالم العربي، القاهرة، مركز البحوث العربية، 2003، ص320.

[3] عزة كرم، **النساء والحركات الإسلامية والدولة**، دار الروق، القاهرة، 2001، ص ص 97و98.

[4] عماد صيام ، **مرجع سابق**، ص321.

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التطرف هو مجاوزة العدو الغلو في الدين، وهو التصلب فيه والتشدد حتى مجاوزة الحد فهو مجاوزة الاعتدال في الأمر وأطلق العلماء قديما كلمة التطرف الديني على القائل المخالف للشرع وعلى القول المخالف للشرع وعلى الفعل المخالف للشرع. فهو فهم النصوص الشرعية فهما بعيدا عن مقصود الشارع وروح الإسلام فالتطرف في الدين هو الفهم الذي يؤدي إلى إحدى النتيجتين المكروهتين، وهما الإفراط أو التفريط. والمتطرف في الدين هو المتجاوز حدوده والجافي عن أحكامه وهديه، فكل مغال في دينه متطرف فيه مجاف لوسطيته ويسره. [1]

ب- مفهوم الغلو:

الكلمة أخرى ذات الصلة بالتطرف هي الغلو. لقد بيّن العلماء الغلو في الدين. ومن ذلك ما قاله النووي: "الغلو هو الزيادة على ما يطلب شرعا" وقال ابن حجر: هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد" لذا ليكن القول: إن الغلو تجاوز ما أمر الله تعالى من جهة التشديد، وقد ذمت الشريعة التطرف والغلو في الدين. فقال الله تعالى: "**قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق**" (المائدة:77) يقول ابن كثير رحمه الله "ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها".[2]

3.1. التيارات الدينية من التعصب والتناقض إلى اصطناع الصراع

من أهم أسباب التطرف الديني هو **سوء الفهم** عن الدين **والتعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر** وخاصة في الأمور الاجتهادية، فبسبب سوء الفهم والتعصب للرأي يجعل المتطرف الأمور الاجتهادية أمورا مقطوعة ليس فيها إلا قولا واحدا وهو قوله ورأيه. ويقول أحد الدعاة: "**إن أولى دلائل التطرف هي التعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على فهمه جمودا لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق... والعجيب أن من هؤلاء من يجيز لنفسه أن يجتهد في أعوص المسائل وأغمض القضايا ويفتي فيها بما يلوح له من رأي. وافق فيه أو خالف، ولكنه لا يجيز لعلماء العصر المتخصصين، منفردين أو مجتمعين أن يجتهدوا في رأي يخالف ما ذهب إليه**". إن التعصب مرض خطير نهى عنه الإسلام نهيا شديدا سواء أكان هذا التعصب في مجال الاعتقاد أو في

[1] محمد بن عبد الرزاق، **التطرف في الدين: دراسة شرعية**، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2004،ص ص5و 6

[2] تفسير ابن كثير 589/1.

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مجال التحيز لفئة على حساب أخرى أو في مجال التعصب لرأي النفس أو المذهب. هذا التعصب للرأي وسوء الفهم عن الدين يظهر في أشكال وصور عديدة.[1] و منها:

أ- المنهج التكفيري

ب- اتهام جهود الإصلاح عن طريق السياسة بالكفر والزندقة

ج- التعامل مع غير المسلمين

د- سوء الفهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هـ- الموقف تجاه مشركة المرأة في الحياة الاجتماعية

إن الغلو والتطرف لخطر عظيم على كيان الأمة الإسلامية. فقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم آثارها بكلمة جامعة بليغة بقوله: "فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" فهو هلاك في كل شيء على مستوى الأفراد وعلى مستوى المجتمعات إنه هلاك للأنفس والممتلكات والبلاد والعباد. لذا يجب معالجة التطرف والغلو بأساليب مختلفة، وفيما يلي نذكر بعض هذه الأساليب:

- محاربة الجهل.

- زيادة التفقه في الدين

- نشر العلم الصحيح بين أفراد المجتمع خاصة فيما يتعلق بقضايا الولاء والبراء وتكفير المسلم، وحقوق ولي الأمر المسلم.

- معادلة غير المسلمين.

- دور المرأة في الحياة الاجتماعية العامة وغيرها من القضايا المعاصرة

- يجب أن تتصدى مناهج التعليم في العالم الإسلامي لمشكلة التطرف بشكل علمي فيجب أن تتناول قضايا ومسائل مثل سماحة الإسلام ويسره ووسطيته وحقوق الولاة، وحقوق الوطن وحقوق المسلمين وحرمة دماء المسلمين وأعراضهم وأحوالهم[2].

2. مدخل موجز إلى الحضارة العربية الإسلامية و فضها على باقي الحضارات

[1] محمد طاهر منصوري: **ظاهرة التطرف الديني الفكري في المجتمعات المسلمة و أثرها على الوحدة والتنمية**، أنظر أكثر: يوم 2017/06/20 على 21.30

http://www.wasatia.org/2010/04/27/ظاهر-التطرف-الديني-والفكري-في-المجتمع

[2] محمد طاهر منصوري: **ظاهرة التطرف الديني الفكري في المجتمعات المسلمة و أثرها على الوحدة والتنمية**، أنظر أكثر: يوم 2017/06/20 على 21.30

http://www.wasatia.org/2010/04/27/ظاهر-التطرف-الديني-والفكري-في-المجتمع

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

1.2. الحضارة العربية الإسلامية: مدخل تعريفي

لقد قامت الحضارة العربية الإسلامية بدورها الطليعي خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية، وقد نقل العلماء العرب والمسلمون التراث الإغريقي وغيره من ألوان التراث العلمي الذي تقدّم عليهم في التاريخ، نقلوه إلى اللغة العربية، التي كانت لغة علم وثقافة، وأثر العلماء العرب والمسلمون في النهضة الأوروبية، وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية غالبا وواضحا ومؤثرا في عديد من المجالات العلمية والفكرية والثقافية، مثل ابتكار نظام الترقيم والصفر والنظام العشري، ونظرية التطور قبل "**داروين**" بمئات السنين، والدورة الدموية الصغرى قبل "**هارفي**" بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل نيوتن بقرون متطاولة، وقياس سرعة الضوء وتقدير زوايا الانعكاس والانكسار، وتقدير محيط الأرض، وتحديد أبعاد الأجرام السماوية، وابتكار الآلات الفلكية، واكتشاف أعالي البحار، ووضع أسس علم الكيمياء.

ويمكن القول إجمالا إن الحضارة العربية الإسلامية كانت واسطة العقد بين العلوم والثقافات القديمة وبين النهضة الأوروبية؛ فالفكر العربي الإسلامي، والثقافة العربية الإسلامية، سلسلة متّصلة الحلقات، امتدّت من الحضارات القديمة، من مصرية، وآشورية، وبابلية، وصينية، إلى حضارة الإغريق والإسكندرية، إلى العصر الإسلامي الذي تأثّر علماؤه بمن تقدّمهم، وأثّروا بدورهم فيمن لحقهم من علماء النهضة الأوروبية الذين قرؤوا أعمال العلماء العرب في كتبهم المترجمة إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية.

2.2. فضل الحضارة العربية على باقي الحضارات

لقد حافظت الثقافة العربية الإسلامية على الثقافة اليونانية من الضياع، إذ لولا المثقفون والعلماء العرب، لما وصلت إلى أيدي الناس مؤلفات يونانية كثيرة مفقودة في أصلها اليوناني ومحفوظة بالعربية. ولقد ظلّ الغرب يشتغل على الثقافة العربية حتى بعد أن تقلص ظلّها في الأندلس بجيلين أو أكثر حتى وصل إلى العصور الحديثة. وظلت الثقافة العربية الإسلامية تستهوي الكثيرين من أبناء العالم الغربي، إذ لم تتوقف الترجمة عن العربية في عصر النهضة وما بعد عصر النهضة، رغم الاتصال المباشر بالعالم اليوناني والحضارة اليونانية اعتبارا من منتصف القرن الثالث عشر للميلاد عندما بدأت الكتب اليونانية تنقل رأسا إلى اللاتينية من دون الاستعانة بالترجمات العربية. فالثقافة العربية لها قيمتها وشخصيتها، فقد

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أنتجت الكثير مما لم تستطع الثقافة اليونانية إنتاجه في الحقول كافة: إضافات وتعليقات وابتكارات واكتشافات عربية لم يعرفها اليونان.[1]

إن عالمية الرسالة الإسلامية تكون بعدم اختصاصها بجنس من الأجناس البشرية، وبعدم انحصار تطبيقها في إقليم خاص، أو بيئة معينة، وبامتدادها أزمانًا طويلة، تخلد فيها بعد العصر الذي فيه، وبدون ذلك لا يتحقق معنى العالمية في أي دعوة.[2] وحركة النقل من الثقافة العربية الإسلامية التي خرجت بها أوروبا من عصورها المتوسطة المظلمة إلى عصورها الحديثة المتنورة، لم تقتصر على "**نقل**" المعارف القديمة من يونانية وهندية وبابلية ومصرية، من كتب باللغة العربية إلى اللغة اللاتينية فحسب. إن أوروبا المسيحية قد "**نقلت**" أيضاً معارف عربية خالصة، كما نقلت أنماطاً من الحضارة الإسلامية ومن الإيمان الإسلامي إلى حياتها العامة وحياتها الخاصة. ولو أن الكنيسة الكاثوليكية لم تضع ثقلها إلى جانب الفِرنجة في **معركة تُورَ** سنة 114هـ (732م) ، لعمَّت الحضارةُ الإسلامية والثقافة العربية الإسلامية في أوروبا منذ ذلك الزمن الباكر، ولوفّرت الكنيسة الكاثوليكية على العالم نِزاعا طويلا وشقاء مريرا.

لقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في العالم الغربي، ونهل علماء أوروبا من المصادر العربية الأصلية، ووجدوا أنها تراث علميّ عظيم، فاشتغلوا بدراسته وتحليله. ولقد كان العرب والمسلمون يمثّلون العلم الحديث بكل معنى الكلمة، كانوا رواداً في المناهج العلمية الحديثة، وقد اكتسب المثقفون والعلماء في أوروبا من الثقافة العربية الإسلامية، أكثر من مجرد المعلومات، إنهم اكتسبوا العقلية العلمية ذاتها بكل طابعها التجريبي والاستقرائي، بحيث وجد الأوروبيون في التراث العربي الإسلامي وفي الثقافة العربية الإسلامية ضالتهم المنشودة، فعكفوا على نشره.

إن الانبهار بحجم تأثير الثقافة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، وفي الثقافة والعلوم الأوربيَيْن، جعل مفكرة عالمة ألمانية تصدع بهذه الحقيقة بقولها : "**إن تلك الحضارة الزاهرة التي غمرت بأشعتها أوروبا عدّة قرون، تجعلنا نعجب أشدّ العجب؛ إذ هي لم تكن امتداداً حضارياً لبقايا حضارات غابرة، أو لهياكل حضارية محلية على قدر من الأهمية، أو**

[1] عبد المنعم الجميعي، **دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية كنموذج لحوار الحضارات**، منشور بوزارة الثقافة المصرية ، العلاقات الثقافية الخارجية، (د.س.ن)، ص123.

[2] الخطيب، سليمان، **أسس مفهوم الحضارة في الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة، 1986، ص 201.

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أخذاً لنمط حضاري موجود، أو تقليداً يُنسج على منواله المعهود، كما نعرف في الأقطار الأخرى مهد الحضارات في الشرق. إن العرب بثقافتهم هم الذين أبدعوا هذه الروعة الحضارية إبداعاً".[1]

3. نماذج عربية من تأثير التيارات الدينية على الفكر القومي و الاجتماعي السياسي

1.3. التيارات الدينية في مصر: التجاذب و الاحتقان

شهدت مصر في ربع القرن الأخير تصاعد وتجذر كل التيارات، لدرجة تجاوزت الاحتقان إلى مرحلة الصدام الطائفي في نهاية الثمانينيات. وفجر ذلك صراعا على القوة بين التيارات الدينية والسلطة. وانفرد الإسلاميون بالتمتع بالوزن السياسي والنفوذ الاقتصادي والدعم الاجتماعي من بين كل المعارضين لسياسات الدولة. وسعى الأقباط أيضا إلى مثل هذا النفوذ من خلال قوة الكنيسة أو اختراق الدوائر العليا للسلطة.[2]

وفجر هذا الوضع قضية العلاقة مع الآخر الحضاري (الخارجي) بأبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية. وبينما قدمت التيارات الإسلامية رؤية سلفية معادية للتحديث والديمقراطية في أن الآخر هو "الغرب الصليبي الملحد الإباحي" الذي يسعى إلى القضاء على الإسلام في كل أرجاء العالم (وخاصة على الثقافة الإسلامية). وقدم الجانب الخارجي على الجانب القبطي بصرف النظر عن مواقفه السياسية على أنه الحامي وطوق النجاة ضد الضغوط الواقعة عليهم، حيث إن هذا الآخر الخارجي ينتمي لسياق ثقافي وحضاري يكرس لحقوق المواطنة والحرية الدينية ويحترمها.

وفي التسعينيات ومع وصول الصراع بين بعض التيارات الإسلامية والدولة مرحلة القتال ظهرت تيارات دينية جديدة ترتكز على المرجعية الدينية في مجالات النشاط العام، وتسعى للتأثير في قطاعات أوسع من الجمهور. وتتميز هذه التيارات (إسلامية ومسيحية) بأنها تهتم بالشأن العام وتطرح قضايا ذات أبعاد سياسية تنموية ثقافية اجتماعية. وتمارس أنشطة ذات طابع جماهيري أو موجهة للجمهور من خلال أطر للعمل الجماهيري. ورغم ارتباط هذه الأطر تنظيمياً أو فكريا بمؤسسة أو ثقافة دينية، إلا أن خطابها السياسي أو الثقافي غير ديني في عمومه. ويمكن القول بأن هؤلاء النشطاء قد نجحوا من خلال علاقات التعاون والحوار مع بعضهم البعض ومع أبناء نفس جيلهم من الفاعلين في العمل العام على بلورة خطاب فكري

[1] عبد المنعم الجميعي، **مرجع سابق**، ص123.

[2] عزة كرم، **مرجع سابق**، ص98.

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وسياسي مشترك يدور حول الديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية. وينشط مثل هؤلاء الفاعلين في إطار هذه الأفكار والتوجهات في مصر في عشرات الأطر التي تنتشر في كل محافظات مصر تقريبا. وتتعدد أشكالها بين منظمات غير حكومية ومراكز بحثية غير حكومية وشركات مدنية وصالونات ثقافية وأسر وتجمعات في منظمات نقابية ومهنية وصحف ومجلات حكومية معارضة ومدارس وجامعات ومؤسسات دينية.[1]

ويمكن أن يمثل هؤلاء في دمجهم بين المرجعية الحقوقية الدولية وبين المرجعية الدينية مقابلاً للمنظمات التي تدمج بينهما وبين الأفكار اليسارية، وخاصة فيما يتعلق بالتوقيت الذي انتشرت فيه، والأنشطة والأدوات التي تستخدمها، والاعتماد على التمويل الخارجي. ويبدو أن النمطين يختلفان في سعي المنظمات ذات المرجعية الدينية إلى الانتشار الجماهيري والعمل القاعدي.

2.3. النمذجة السورية و تيار الإسلام السياسي

في سوريا، قامت مظاهرات ضخمة في 1966 على أثر جعل أمين الحافظ من الإسلام دينا لرئيس الدولة وليس للدولة. وبعد قمع هذه الحركة استمرت العلاقة المتوترة بين تيارات الإسلام السياسي وبين الدولة. وخفتت حدة المواجهة مع الدولة قليلا مع التضييقات المتلاحقة على اليساريين (مثل الفصل من الدراسة، ومنع السفر، و الاستدعاءات الأمنية). وفتح المجال أمام التيار الإسلامي عبر المساجد واللقاءات الدينية.

واستمر الوضع حتى تفجرت موجة العنف في أواخر السبعينيات، والعنف المضاد الذي ردت به السلطة والذي أعاد ظاهرة قصف المدن، مما شكل ضربة قوية لتيار الإسلام السياسي، وخاصة مع صدور قانون خاص ضدهم يغلظ العقوبة إلى الإعدام. ومع تطور عمليات التفاوض مع إسرائيل نشط التيار الجهادي مرة أخرى من خلال "حزب التحرير الإسلامي" رغم ما وجده من مواجهات، بينما نشط تيار معتدل مستفيدا من الدعم الحكومي خاصة للتعليم الشرعي.[2]

3.3. التيار الديني في الجزائر و الصحوة المفرطة

[1] عماد صيام ، **مرجع سابق**، ص322.

[2] سوسن زكزك، **الحركات الاجتماعية في سوريا**، بحث غير منشور ضمن بحث الحركات الاجتماعية في العالم العربي، القاهرة، مركز البحوث العربية 2003، د.ص

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تنفرد الجزائر بوضع مختلف كيفيا، حيث أدت أزمات النظام المستفحلة إلى ظهور أشكال جديدة من الحركات الاجتماعية التلقائية. تتسم هذه الحركات بعدم التأطير أو ضعفه والنزعة إلى الفعل المباشر واستخدام العنف في بعض الأحيان كأداة تعبيرية. وتركزت هذه الحركات في الأحياء الشعبية في المدن الكبرى. وحملت هذه الحركات فاعلا اجتماعيا جديدا هو شباب المدن والأحياء الشعبية، الذين عبروا عن رفضهم لأوضاعهم المعيشية الفردية والجماعية بلغة سياسية جديدة يغلب عليها الإبهام والغموض، وخطاب كلي لا يفرق بين السياسي والديني والأخلاقي والفردي والجماعي مع نزعة نحو الجذرية في الطرح.

وتحولت هذه الحركات إلى فاعل مركزي في جزائر النصف الثاني من الثمانينيات، وحازت على تأييد كثير من الأوساط الاجتماعية الشعبية، وخاصة بين الشباب. تمركزت هذه الحركات حول القضايا الحياتية مثل السكن والتعليم وأشكال التهميش المختلفة التي تم التعبير عنها بمفهوم "الحقرة" hogra) مفهوم شعبي رفعته الكثير من الحركات الاجتماعية في الجزائر، وأصبح مستعملا بالعربية والفرنسية دون حاجة إلى ترجمة). وغزت هذه الحركات ميادين لم تكن معروفة للحركات التقليدية (المصنع والجامعة...) مثل الملعب والحي الشعبي ثم المسجد في مرحلة لاحقة[1].

وكانت هذه الحركات الاجتماعية الشعبية بعيدة في بدايتها عن أي تأطير سياسي. وكان التيار الديني يرى فيها حركات دهماء لا تتوفر فيها درجة النقاء الديني المطلوبة. وصاحب هذه الحركات ظهور الجديد على المستوى الفني كأغنية الراي المتمردة على القيم والسلوكيات الاجتماعية والمنادية بحرية أكبر. ومع الصعود الأقصى لتلك الحركات في أحداث أكتوبر 1988، تم اللقاء التاريخي بينها وبين التيار الديني الجذري المتمثل في بعض تيارات الجبهة الإسلامية للإنقاذ (دون التيارات الإسلامية الأخرى). ومنح ركوب التيار الإسلامي لهذه الحركة أبعادا لم تكن لها في البداية، مثل الأبعاد الأخلاقية والقيمية الدينية التي يغلب عليها الطابع السلفي. وقاد هذا التيار الحركة نحو مواجهات عنيفة مع الدولة الوطنية وأجهزتها أو مع كثير من القوى الاجتماعية الأخرى. وتولدت حالة العنف التي ساهمت في تفريخ الإرهاب الذي ضرب بقوة بين صفوف أبناء الفئات الشعبية التي مثلت القاعدة لهذه الحركات.

[1] ناصر جابي، **الحركات الاجتماعية في الجزائر بين أزمة الدولة الوطنية وشروخ المجتمع** ، بحث غير منشور ضمن بحث الحركات الاجتماعية في العالم العربي، القاهرة، مركز البحوث العربية، 2003، ص112.

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وبعد انحصار موجة الإرهاب منذ 2001/2000 شهدت الجزائر عودة حالات الانتفاضات والتمردات في شكل حركات احتجاجية تشبه الحركة الاجتماعية الشعبية قبل ركوبها من قبل التيار الديني السلفي، من حيث الدور الذي يلعبه الشباب فيها والطابع غير المنظم والاستعمال التعبيري للعنف وإمكانية التكرار والتنقل وشمول أكثر من منطقة ومدينة. وتطرح في الجزائر مسألة استعمال هذه الحركات من قبل قوى سياسية في إطار الصراعات بينها. ويطرح هذا تساؤلا كبيرا في البلدان العربية الأخرى في ظل تواصل فوقية الصراع السياسي وتردي الأوضاع المعيشية لفئات واسعة من الشعب.

ويتميز الوضع في الجزائر أيضا بظهور حركات ثقافية كبيرة وهي الحركة الأمازيجية. وقد عبرت هذه الحركة عن نفسها في شكل مطالب خاصة بالأبعاد الأمازيجية للثقافة الجزائرية بشكل مزج بين العمل السياسي الحزبي والشعبي وبين العمل العسكري (1964/1963). ولكن أحادية النظام السياسي ومرحلة صعود النموذج الوطني قلصت الخطاب الثقافوي الأمازيجي إلى بعض الجيوب النخبوية. وعرفت أحزاب المعارضة والأشكال الأخرى للحركات الاجتماعية التقليدية (العمالية – النقابية – الطلابية) وجودا لأشكال تعبير أمازيغية.

وتميزت الحركات الاجتماعية التي برزت بقوة في منطقة القبائل بعد الثمانينيات بقوة تأطيرها وتنظيمها النخبوي. وجندت هذه الحركة الفلاح والعامل والتاجر وصاحب العمل في إطار جغرافي محدد لم يتجاوز منطقة القبائل إلا قليلا، حيث استطاع حزباً المنطقة "حزب القوى الاشتراكية" و "حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية" ربط المطالب الأمازيغية مع اهتمامات وطنية أوسع في بعض المناسبات. واستطاعت الحركة أن تعبر عن نفسها أيضا من خلال مئات الجمعيات، وأكثر من نقابة عمالية وهي أشكال لم تتعد الوعاء الجهوي الذي انطلقت منه.

ويعتبر العنف الذي شهدته منطقة القبائل 2001- 2002 من إفرازات الأزمة التي تعيشها الحركة الشعبية الثقافية التي فقدت كثيرًا من خصائصها الأصلية كالسلمية وقوة التأطير. وبدلا من الحضور القوى للأحزاب والجمعيات ظهرت أشكال التعبير من خلال حركة العروش ولجان الأحياء. وأخذ مكان الجيل القديم جيل جديد من القيادات من سماته الانغلاق أكثر

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

حول الذات وجذرية الطرح الذي كانت أحد مؤشراته رفض المشاركة في الانتخابات الوطنية والمطالبة بمغادرة قوات الشرطة للمنطقة.[1]

4.3. قراءة شخصية عن تأثير التيارات الدينية على الواقع العراقي و حدوده

ومنذ سقوط صدام حسين و بروز القوى السياسية الشيعية في العراق، تجرّأ شيعة السعودية على الدعوة إلى حقوق ثقافية أكبر داخل النظام السعودي .إنّ العلاقات العائلية الحميمة بين شيعة البحرين وشيعة السعودية المقيمين في منطقة الإحساء عند طرف الجسر الذي يربط بين البلدين ستزيد من أهمية السياسة الشيعية بين المنطقتين، وقريبا، سيجد النظام السعودي نفسه مطالباً بالتخفيف من التمييز ضد الشيعة في المملكة، أو قد يلجأ إلى قمعهم بشدة أكبر اذا ما أراد أن يتجنب تزايد المشاكل الأمنية في المنطقة.

وفي سوريا، تحكم الأقلية العلوية الأكثرية السنية .ومع أنّ العلويين ليسوا جزءا من الاثني عشرية السائدة في إيران والعراق، فالجمهورية الإيرانية لجأت بعد الثورة إلى اتخاذ قرار سياسي يعترف بالعلويين كشيعة .ترى هل سيقوم تفاعل في المستقبل بين شيعة العراق والحكام العلويين في دمشق فان حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق لهما وجود في دمشق منذ أوائل الثمانينات، وقد عملا بدعم سوري ضد النظام السابق ونظرا للروابط السياسية الوثيقة بين طهران ودمشق، من المنطقي تماما أن تحافظ القوى السياسية الشيعية الجديدة في العراق على الروابط نفسها .وفي ظل هذه الظروف، هل سيسعى الإسلاميون السنة في البلدين عندئذ إلى التعاون ضد الشيعة؟ وتعود نهضة الشيعة المباشرة في لبنان إلى الروابط الدينية التي جمعت بين شيعة لبنان وإيران في الستينات. وتستمر إيران اليوم بدعم حزب الله، وهو التنظيم الأكثر تشددا بين التنظيمين السياسيين الشيعيين في لبنان، ويلقى هذا الحزب أيضا دعما من سوريا التي تجد فيه أداة صالحة للضغط على إسرائيل .ويمكننا أن نتوقّع بسهولة قيام تنافس في المستقبل بين إيران والعراق على استمالة شيعة لبنان، و يظهر جليا مستقبلاً بعد سقوط صدام يمكن للنجف أن يبرز كمركز شيعي أهم من إيران.

4. نحو أبجديات قيام نهضة دينية عربية

[1] نفس المرجع، ص113

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تعددت عوامل قيام النهضة الأمم الأخرى لنتبعها إذا ما أدت الأمة العربية التقدم و التطور شريطة أن تكون ملائمة للبيئة الإسلامية و كذا عاداتنا و قيمنا، وكان من أبرز هذه العوامل ما يلي:[1]

- **إحياء التراث القديم**: فقد كان من أبرز ما ظهر في عصر النهضة والتجديد هو العودة نحو القديم، ويعد التراث من أهم الأمور القديمة التي رجعت إليها النهضة في مظاهرها، فدرست التراث اليوناني، والتراث الروماني، وتعرفت على مزاياه.
- **الحركة الإنسانية**: فقد تبع إحياء التراث ظهور الحركة الإنسانية التي هدفت إلى قيام الإنسان بدراسته لذاته وحقيقته بمعزل عن مختلف الأفكار والعقائد المحيطة به.
- **الطباعة**: ساعدت عملية الطباعة بعد اكتشافها في القرن الخامس عشر على نشر التراث القديم التي عمدت النهضة إلى إحيائه، بالإضافة إلى نشر الدراسات الجديدة والكتب، الأمر الذي جعل هذه الأمور في متناول الأيدي والفئات المختلفة من الناس بعد أن احتكرها الأثرياء وطبقة الحكام ورجال الدين في القدم، والجدير بالذكر أن اكتشاف الطباعة أخرج الناس من الركود الذي كانوا يعيشون فيه في العصور الوسطى.
- **ظهور اللغات القومية**: ومن أهم اللغات القومية التي ظهرت هي اللاتينية القديمة، فقد أصبح الناس يسعون إلى تقليد اللاتينية القديمة إعجاباً بها ولاحتوائها على معانٍ نبيلة وأفكار تفيدهم في حياتهم، فاستخدموا أساليب التعبير الخاصة باللاتينية بالإضافة إلى الاستفادة من أفكارها ومضمونها.
- **النهضة الفنية**: بالرغم مما حققته الحركة الفنية التي ظهرت في بداية القرن الثاني عشر الميلادي من التقدم الكبير في العمارة وفن النحت، إلّا أن النهضة الفنية أحدثت إحياءً للتراث الفني، وجسدت الإنسان من خلال النحت والرسم، وبذلك خرج الفن من زاوية الاستنساخ إلى زاوية التعبير الحر، فأصبح الفنان في عصر النهضة حراً في تعبيره عن عقله وأفكاره.

[1] عبد الكاظم الطفيلي (2013-1-27)، "عصر النهضة"، **www.uobabylon.edu.iq**، اطّلع عليه بتاريخ 2017-3-11.

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- النهضة الفنية: بالرغم مما حققته الحركة الفنية التي ظهرت في بداية القرن الثاني عشر الميلادي من التقدم الكبير في العمارة وفن النحت، إلّا أن النهضة الفنية أحدثت إحياءً للتراث الفني، وجسدت الإنسان من خلال النحت والرسم، وبذلك خرج الفن من زاوية الاستنساخ إلى زاوية التعبير الحر، فأصبح الفنان في عصر النهضة حراً في تعبيره عن عقله وأفكاره.

- خاتمة:

الثقافة الإسلامية، وسيط اجتماعي فاعل، وحي، يسهم في تحقيق التنمية الشاملة، ويؤسس لنهضة جديدة للحضارة الإسلامية، التي هي حضارة أمة منتجة، عاملة...معتنية بالتنمية، والاعتماد على الذات.. حضارة أمة تعتقد جازمة، بما تواتر لديها من الأدلة، والنقول، والإرهاصات، أن لها المستقبل كله ظهوراً، وانتشاراً، وأن عاقبة أمرها النصر والتمكين.

إن مجتمعنا العربي والإسلامي يمر بفترة حرجة من حياته تتسم باهتزاز القيم نضير اختلاف التيارات الدينية وتباين رؤاها إلى جوهر الحقيقة، واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية، وكثرة حالات الخروج على تعاليم الدين الحنيف.

في أخر هذه الورقة العلمية نرى الحياة النفسية والاجتماعية التي يحياها شباب العروبة والإسلام تؤكد ما يعانونه من اغتراب ديني ونفسي كبير ويعيشون خلل قيمي مخيف.

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم

- الكتب:

- الخطيب، سليمان، **أسس مفهوم الحضارة في الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة، 1986.

- تفسير ابن كثير 589/1

- عبد المنعم الجميعي، **دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية كنموذج لحوار الحضارات**، منشور بوزارة الثقافة المصرية ، العلاقات الثقافية الخارجية، (د.س.ن).

- عزة كرم، **النساء والحركات الإسلامية والدولة**، دار الروق، القاهرة، 2001.

- سمير أمين، **في أطراف النظام العالمي: نهاية التحرر الوطني؟** إيمانويل فالرشتاين وآخرون، ترجمة عصام خافجي وأديب نعمة، دار الفارابي، بيروت، 1991

المجلد التاسع/ العدد الرابع جوان 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- المجلات و البحوث المنشورة:

- ناصر جابي، **الحركات الاجتماعية في الجزائر بين أزمة الدولة الوطنية وشروخ المجتمع** ، بحث غير منشور ضمن بحث الحركات الاجتماعية في العالم العربي، القاهرة، مركز البحوث العربية، 2003

- عماد صيام ، **الحركات الاجتماعية في مصر بين المرجعية الدينية والتجاوز الديمقراطي**، بحث غير منشور ضمن بحث الحركات الاجتماعية في العالم العربي، القاهرة، مركز البحوث العربية، 2003

- سوسن زكزك، **الحركات الاجتماعية في سوريا**، بحث غير منشور ضمن بحث الحركات الاجتماعية في العالم العربي، القاهرة، مركز البحوث العربية 2003

- المؤتمرات و الندوات:

- محمد بن عبد الرزاق، **التطرف في الدين: دراسة شرعية**، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2004

- الوابوغرافيا

- محمد طاهر منصوري: **ظاهرة التطرف الديني الفكري في المجتمعات المسلمة و أثرها على الوحدة والتنمية**، أنظر أكثر

http://www.wasatia.org/2010/04/27/ظاهر-التطرف-الديني-والفكري-في-المجتمع

- عبد الكاظم الطفيلي (27-1-2013)، "**عصر النهضة**"، www.uobabylon.edu.iq